

على هامش النقد

## ٢ - ملهم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

— ❦ —

تقدم الأستاذ عادل كامل إذن بقصته هذه التي تحدثنا عنها - على قدر الإمكان في مقال سابق إلى الجمع اللغوي، فلم نمنحها اللجنة الأدبية جائزة القصة المقررة . وقد وافقنا نحن اللجنة في قرارها على أساس أن مثل هذا الاتجاه مما يحتمل السكائب تبتهه وحده أمام القراء مباشرة، بلا وسيط من الهيئات المسئولة .

وعندئذ كتب المؤلف تلك المقدمة الطويلة التي بلغت مائة وثمانيا وعشرين صفحة ! وكان في ذلك الخير . فقد أصبحت هذه المقدمة بحثا مطولا في اللغة والأدب والفن والأخلاق وصارت هي الأخرى عملا أدبيا مستقلا بذاته ، قابلا للنقد والجدال !

ولقد تشعبت نواحي هذا البحث ، فلا بد من الاختصار في مناقشتها . وتيسيرا للأمر سنسلك نفس الطريق الذي سلكه في إيرادها .

\*\*\*

فهم الأستاذ عادل أنه كان هناك اعتراض على « مستوى » أسلوب القصة ، فأخذ في بيان ما يفهمه عن الأساليب الجيدة والأساليب الرديئة ففني أولا بأن هناك فكرة وتمبرا كلاما مستقلا عن الآخر ، وأن هناك فكرة جيدة تعرض في أسلوب رديء .

« هذا رأى النظرة المجلى » فالفكرة لا تخاطر للسكائب مجردة ، بل تأتي في صورة الفاظ ، هذه الصورة اللفظية هي أسلوبه الذي تتحكم فيه الفكرة تحكما تاما . لهذا فأن لا نستطيع أن نعبر عن الخاطريتين بطريقتين مختلفتين . فقم أن يتغير المعنى إن اختلفت طريقة الصياغة . لأن المعنى الذي يوحى به اليك كاتب ما هو خليط غير منفصل من الفكرة واللفظ « فن يفهم الأدب فهما صحيحا لا يقربا مكان وجود موضوع

جيد مكتوب بأسلوب رديء ، لأنك وإن اعجبت بالموضوع ، فأسلوب الكاتب وألفاظه هما اللذان أوحيا اليك بالإعجاب ، فهما الصلة الوحيدة بينه وبينك .

« نعمة فكرة جميلة سرت إلى نفسك ، وأنت تطالع كتابا كيف تم هذا ! عن طريق لفظ وفي صورة لفظ . فقم إذن أن يسكون الجمال في اللفظ إذ لو كان الأسلوب رديئا لما وصلتك الفكرة الجميلة »

وهذا كلام جيد . ونحن نوافق عليه بنصه وقصه . لا بل أنا قد كتبت منذ أشهر في فصل من فصول كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي يطبع الآن ...

ولكن من الحق أن ترجع الفضل إلى أهله . فلست أنا ولا الأستاذ عادل ، ولا النقاد الحديثون في أوربا هم أول من خطرت لهم الفكرة على هذا النحو كما يقرر هنالك رجال ممن كتبوا عن « البلاغة » منذ مئات الأعوام قد اهتدى إلى هذه الحقيقة ؛

ولقد عبرت عن هذه الحقيقة في كتابي على النحو التالي « إنما نحب أن « عبد القاهر » قد وصل في مشكلة اللفظ والمعنى إلى رأى حاسم حين انتهى في « دلائل الإعجاز » إلى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، إنما من حيث دلالة على معنى . وأن المعنى لا يتناول البحث من حيث هو خاطر في الذهن ، ولكن من حيث أنه ممثل في نظم . وأن المعنى مقيد في وجوده بالنظم الذي يؤدي به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد .

« لم يصنع عبد القاهر القضية هذه الصياغة فنحن نترجم عنه باختصار ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا كاملا لا نستطيع نقله هنا ، ولا نقل فقرات منه بذلك الأسلوب المقيد الذي لا ينسق مع كتاب عن « التصوير الفني في القرآن » !

« ولكن « عبد القاهر » له فضله العظيم في تقرير هذه القضية . ولو خطأ خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الدروة في النقد الفني . فنقول نحن عنه : إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى . وإنه حينما اختلفت طريقة التعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورة هذا المعنى في النفس والذهن . وبذلك تربط المعنى وطرق الأداء وبما لا يجوز الحديث بعده